مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٦/٩/٢٢

رســـالة خاصـــة مـن بـاريس

أوروبا .. أمـام انتخـاب السـادات

نقولها بصراحة يندر ان يهتم الاعلام الغربى والقيادات السياسية بانتخاب اى من رؤساء دول العالم الثالث بحجة ان غياب الديمقراطية بنموذجها الغربى يجعل هذه الاحداث دون معنى سياسى يستحق التعليق والتحليل .. لماذا اذن كان ذلك الاهتمـام من جانب الاعلام والقيادات الاوروبية باعادة انتخاب الرئيس السادات ...

هذا الاهتمام له سببان الاول هو انه رغم ان الديمقراطية فى مصر ليست نموذجا للنظام الغربى الا ان العواصم الاوروبية شعرت بجدية تصدد وهرية التعبير السياسى فى مصر والسبب الثانى للاهتمام يمكن فهمه اذا رجعنا الى الوراء عام مضى فى المرحـلة التى لم يعلن السادات عن رغبته فى اعادة الترشيح لرياسة الجمهورية .. وانطلقت التكهنات.. ولم تخف وقتها كثير من القيادات الاوروبية قلقها اذا لم يرشح الرئيس نفسه على مستقبل «مولود جديد» امل عودة السلام للشرق الاوسط وتخوفاتها ان يهتز بناء «الحوار الاوروبى العربى».

بل ان احد الرؤساء الاوروبيين لم يتردد وهو يسمع كيسنجر يشرح جهود امريكا لعودة السلام للشرق الاوسط فى ان يقول له ان كل هـذا البناء ممكن أن ينهار اذا لم يجدد السادات عدة سنوات لرئاسته ..

قلق أوروبا امس واطمئنانها اليوم ليس انفعالا عاطفيا رغم مشـاعر التقدير والاعجاب للسادات فى الرأى العام الاوروبى ولكن وراءه حسابيات سياسية دقيقة واعتبارات استراتيجية تستحق البحث والتحليل .

اولا : الاستقرار السياسى فى مصر هو حجر الزاوية لدور أوروبا فى المنطقة العربية

معظم الدول الاوروبية ايا كان قربها أو بعدها من امريكا والاتحاد السوفيتى لا تستطيع ان تلعب دورا فى المنطقة الا اذا شاءت ذلك الارادة السياسية للدول العربية .. ولا تستطيع اوروبا ان تعتمد على أى من الدول العظمى لتعطيها حصة من نصيبها ...

وأوروبا لن تنسى وباريس بالذات فى الايام والاسابيع التى تلت حرب أكتوبر الحاسمة لمستقبل اقتصادها كيف أن امريكا والاتحاد السوفيتى احتكرا لحسابهما ادارة الدور الخارجى من الأزمة سياسيا وعسكريا واقتصاديا .. وأوروبا لن تنسى وبالذات باريس الدور الذى لعبه السادات فى مؤتمر القمة العربى بالجزائر عقب حرب اكتوبر حينما تقرر ارسال اربعة من وزراء الخارجية العرب ليطمئنوا مؤتمر القمة الاوروبى فى كوبنهاجن ديسمبر ١٩٧٣ .. وبدأ من هذا اليوم اول خيط للحوار الاوروبى العربى يطمئن اوروبا امام القلق الاوروبى لقرار حظر البترول .

وأوروبا لن تنسى وبالذات باريس الدور الذى لعبه الرئيس السادات لانهاء قرار حظر البترول بعد ان اطمئن انه أدى دوره واثاره .. وايضا باريس تعلم أن الرئيس السادات كان اول من تكلم عن مستقبل دول أوروبا وبالذات فرنسا عندما يحين الكلام فى موضوع الضمانات اللازمة للحل الدائم لأزمة الشرق الاوسط.

واوروبا ايضا لن تنسى وبالذات باريس أن قرار الرئيس السادات بفتح قناة السويس فضلا عن فوائده بالنسبة لمصر .. كان له اثاره الايجابية على الاقتصاد الاوروبى .

أوروبا تعلم ان كل هذه المبادرات من جانب الرئيس السادات لم تكن ممكنة الا بشرط واحد ... استقلال القرار المصرى وقدرة رئيس الدولة على اتخاذ القرار ...

كما ان اوروبا تعلم استقلال قرار مصر وحرية ارادة رئيسها لم يكن ممكنا الا لان مصر تنعم بالاستقرار السياسى ..

وحينما تنظر الدول الاوروبية الى تجاربها مع معظم دول العالم الثالث تعلم أن عدم الاستقرار السياسى كان عائقا لتخطيط سياسة طويلة الاجل .

ومن هنا جاء ربط اوروبا بين اهمية الدور الذى تلعبه مصر فى المنطقة وبين الاستقرار السياسى على ارضها . وبين هذا الاستقرار السياسى وقيادة الرئيس السادات ..

ولعلم أوروبا أن القاهرة هى احدى العواصم العربية النادرة التى تملك فعليا « حرية الحركة والمبادرة » الذى يسمح للدور الاوروبى ان يأخذ مكانا طبيعيا فى المنطقة .. ولعلمها ايضا ان الهناء الطموح الاوروبى العربى الذى بدأته مع السادات مازال فى احتياج لتدعيم ليتأكد له الاستقرار والثبات .. من هنا كان قلق اوروبا « الموضوعى » أمس وهى تحسب احتمالات ما يمكن ان يواجه المنطقة اذا لم يتقدم السادات للترشيح .. ومن هنا أيضا كان اطمئنانها « الموضوعى » اليوم وهى تعلم انه سيكمل المسيرة .

اطمأنت أوروبا لتدعيم الاستقرار السياسى فى مصر ولتدعيم مستقبل الحريات السياسية ولم يكن بالصدفة أن يجتمع رأى جريدة فرانكفورت الجماين فى المانيا والموند فى فرنسا والتايمز فى انجلترا على اهمية موضوع عودة الحريات السياسية فى مصر ..

ثانيا : الربط بين الرئيس السادات وبين مستقبل السلام فى الشرق الاوسط

اهمية عودة السلام لمنطقة الشرق الاوسط لا يعبر بالنسبة لاوروبا عن رغبة معنوية مثالية مسالمة ولكنه حساب للواقع السياسى فى المنطقة امام الدول العظمى وحساب أيضا لامكانيات أوروبا لمصير الحرب والسلام والتى يمكن تلخيصها ببساطة فى الاتى :

حينما تشتعل نار الحرب فى المنطقة فان الدور الرئيسى يبقى بين يدى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى باعتبارهما المصادر الكبرى والرئيسية للسلاح العاجل التسليم والفعال الاثر لحسم مصير معركة .. اوروبا وفرنسا بالذات تعلم أنها يمكن أن تساعد أحد الاطراف فى الصراع لتدعم قوته العسكرية أو تساعده على اعادة نظام تسليحه ولكن ذلك على مراحل طويلة الاجل لا تستطيع حسم معركة عاجلة .

من هذا المنطلق ربطت اوروبا سياسة وجودها ومستقبلها فى منطقة الشرق الاوسط بمستقبل عودة السلام للمنطقة ... واوروبا وفرنسا تعلم ان عودة السلام للمنطقة فى حاجة الى شجاعة قرار وجراة ارادة بنفس القوة التى يحتاجها قرار الحرب ..

وبومبيدو حينما أخذ الرئيس السادات فسراوه فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٣ بدعوة مؤتمر دولى للسلام علق على ذلك القرار الجرىء بقوله لاحد وزرائه : لم أر مثلا للقائد فى التاريخ قادر على ان يتخذ قرارا لمعركة عسكرية ناجحة ثم يأخذ بعدها بعشرة ايام قرارا بدعوة الجميع لعمل السلام . واضاف ان هذه خسارة من السادات ان يتخذ هذا القرار رغم الظروف الصعبة والمعقدة .. نفس القرار الذى عجزت اسرائيل عن اتخذه بعد يونيو ٦٧ رغم ان الظروف كانت سهلة جدا بالنسبة لها ...

وفهمت اوروبا وفرنسا ان الرجل الذى يبادر بفتح قنال السويس رغم الظروف المحيطة يعنى شيئين أولهما انه يثق فى قدرة مصر على مواجهة كل المخاطر وثانيهما أن السلام بالنسبة للسادات ليس مجرد مبادرة عابرة ولكنه استراتيجية كاملة لمشروع السلام ..

وفرنسا تعلم بحكم تجاربها من بولابرت الى بيجول ان الرجل الذى يستطيع ان يخطط فى ان واحد للحرب والسلام وان يكون تخطيطه فى ان واحد التصير الاجل والطويل الاجل هو الرجل الذى يحقق فى نظرها احسن القاب قاموسها السياسى « رجل دولة » .

ورغم اختلاف شخصية جيرالد فورد عن جيسكار ديستان واختلاف الاثنين عن هيلموت شميدت او هارولد ويلسون الاان الاربعة اعطوا نفس اللقب للسادات بعد لقائهم به .. رجل دولة .. ان تلك الكلمة تلخص فى اذهانهم تعبير ... روح

المسئولية والقدرة على المواجهة وجراة القرار ..

لذلك يمكننا ان نلخص هذه النقطة في ربط اوروبا بين مصالحها وبين مستقبل السلام لمنطقة الشرق الاوسط وربطهما ايضا بين مستقبل السلام في المنطقة وبين جراة السادات .. رجل الدولة .. على قرار السلام . وعلى ذلك لا مفاجاة حينما يعلق التليفزيون الفرنسي على انتخاب السادات بقوله .. «ان فرص السلام في الشرق الاوسط قد حصلت على فسحة جديدة .. » .

ثالثا : قوة مصر السياسية والعسكرية تغطى للتعاون الاقتصادى الاوروبى بعدا استراتيجيا

اذا صح كما سبق أن عرضنا ان مصلحة اوروبا هي في عودة السلام للشرق الاوسط الا ان اوروبا وبالذات فرنسا تعلم ان عودة السلام لا يكفي لكي يتحقق القيام بجهود دبلوماسية مكثفة بل انه يجب بجانب ذلك . أن يشعر العدو الاسرائيلي ان مشروع السادات للسلام لا يمنع ان مصر قادرة في حالة استحالة تنفيذ مشروع السلام بالتصعيد حتوقتها بطرق غير سلمية .. وبالتالي فان قدرة مصر العسكرية هي احد ى الضمانات لكي تصل خطوات ومحاولات السلام الى نهايتها .

ان استقلال القرار المصرى وحرية الحركة والمبادرة لدى السادات في حاجة لمساعدة مصر الا تكون قد خضعت لضغوط الدول العظمى فيما يختص بالتسليح .

وهذا ما فهمه واستوعبه جيسكار ديستان حينما اعتبر ان مساعدة مصر على استعواض ما فقدته في حرب أكتوبر وعلى تعدد مصادر السلاح هو ليس مجرد عملية تجارية بل ان هذه الصفقة تهدف اساسا كما اعلن ذلك عند زيارته لمصر لحماية استقلال القرار المصرى امام الضغوط الخارجية .

واذا صح ان معظم عقود بيع السلاح لمعظم الدول العربية يمكن ان ينطبق عليه معيار تجارى الا ان اعطاء السلاح لمصر ليس كما تتصور فرنسا واوروبا مجرد سياسي واستراتيجي يقصد به تدعيم احد الاطراف الاساسية التي تتحمل مسئولية الحرب والسلام .. ويقيم توازنا ضروريا يمنع اى عدو محتمل من ان يحاول فرض ارادته .

ولكن لكي تطمئن فرنسا واوروبا لاعطاء السلاح لاحدى دول المواجهة يهمها ان تطمئن الى اعتبارين .

روح المسئولية التي تعالج بها القيادة السياسية في الدولة التي تتلقى الاسلحة ازمة الشرق الاوسط حتى لا تصبح الدولة الموردة للسلاح طرفا في النزاع .

بالنسبة لهذه النقطة ان ثقة القيادة السياسية في فرنسا في روح المسئولية لدى الرئيس السادات هو ضمانة للاستمرار في تدعيم القوة العسكرية المصرية .

كثير من الدول الصانعة للسلاح اكتشفت في تعاملها مع دول العالم الثالث انه لا يكفي بيع السلاح وتحقيق الربح بل انه يهمها جدا المستوى الفني والتكنولوجي للجيش الذي يتلقى الاسلحة .

أى انه يهم الدولة مصدرة السلاح قدرة الجيش الذي يتدرب على سلاحها أن يستوعب ذلك بدرجة من الدراية والكفاءة التي تحتفظ لسمعة السلاح بقيمتها الفنية والتكنولوجية لتقاوم المنافسة التي لا ترحم بين الدول المصنعة للاسلحة .

وقد اثبتت زيارة الفريق الجمسي والوفد المرافق له لفرنسا ربيع هذا العام أن المستوى الفني والعلمي لقيادات ورجالات القوات المسلحة المصرية ستكون ضمانة ترفع من قيمة سلاح فرنسي سيسلم لجيش وراءه هذه التجربة الكبيرة « لمدرسة حرب اكتوبر » .

مرة اخرى نلخص هذه النقطة بقولنا ان اوروبا وبالذات فرنسا فهمت اهمية ان تكون مصر طرفا قويا .. قادرا على حماية استقلال قراره وحرية حركته وسلامة اراضيه . وان مصر ككوة سياسية هي الوحيدة التي تستطيع ان تجعل التعاون الاوروبي العربي اكثر من عقود بيع وشراء وارباح وعمولات ولكن تستطيع مصر السادات ان تجعل التعاون بين اوروبا والعالم العربي قوة لهما وزنها وبعدها الاستراتيجي .

وليس من الغريب بعد ذلك ان نرى جسر يدة زي دوبنش زيتونج تعلق على انتخاب الرئيس السادات فتطالب الدول الاوروبية والغربية بالاستمرار في مساعدة الرئيس السادات للتغلب على المصاعب الاقتصادية التي تمر بها مصر حاليا لمصلحة مصر ومصلحة أوروبا .

رابعا : علاقات الرئيس الشخصية مع قيادات أوربا

اما وقد تعرضنا فيما سبق للحسابات السياسية التي كانت وراء ارتياح اوروبا ان ترى الرئيس السادات يكمل معها مسيرة التعاون المثمر والخلاق ٦ سنوات اخرى .. فانه يمكننا ان نتعرض لجانب اخر هو العلاقات الانسانية التي اصبحت تربط الرئيس انور السادات بكل رؤساء اوروبا .. رسالات شخصية تتبادل بانتظام ... مكالمات تليفونية تنقل عبر البحار بين الرؤساء بما يوضح الصورة ويضفي على العلاقة طابعا انسانيا .

ان الرئيس السادات هو رئيس الدولة الوحيد في الشرق الاوسط الذي يستطيع اليوم من خلال التليفون المباشر بجانبه ان يتصل باي رئيس في اوروبا وهو على ثقة انه سيسمع في الطرف الاخر « لغة صديقة مفهمة ومتعاونة » .

لقد كان السادات يستحق كل ذلك لانه لم يحصل عليه بضربة حظ ولكن بجهود اعوام من الصبر والمعاناة وتحدي الصعاب .

ولقد كانت مصر ايضا تستحق كل ذلك لانها هي التي سماها وزير الدفاع الفرنسي وهو يحيي الفريق الجمسي ... مصر ام الجيوش وام الفنون وام العلوم . □

باريس من □
د. علي السمان